ومازالت تحاصرنا!

ماجد موجد

لا يوجد في مجتمعنا ما يسمى (النظام العام) على وفق معايير محددة يخضع الجميع لأحكامه ويضمن للجميع حريتهم الشخصية دون أن يكون هناك تلويح بعقاب عنفي، ما متوفر هو معايير خاصة عادة وغالبا ما تفرز العشوائية والفوضى، معايير متشابكة لا دراية لها بما يتطلبه العقل المحض الذي تفيد تكوينه واستمراريته تطبيقاتٌ على العلل والأسباب ومن ثم النتائج، وأية نتائج تأتي بعد كشف العلل، لا تشبع من النهم في إطلاق الأسئلة، أي لا تنتهي إلى حالة من التوقف بل هي دائما في تحديث وتطور مستمرين حتى تبلغ الآراء المختلفة وجهة الصالح العام أو النظام العام الذي هو بالمحصلة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يغفل الصالح الخاص.

مجتمعنا قائم على فرضيات تمتاح مصداقيتها من أمثولات أشخاص مهيمنين على الخط العريض للتاريخ وحسب نيتشه فإن الخط العريض للتاريخ هو خلاصة فلكلورية للماضي وهو هوس طالما جانب حقائق منتظمة ومنظمة للحياة أو كما يقول فوكو "إن أولئك المبهورين بتلك الفرضيات إنما يدحضون العقل بحجة وجود تكوينات مقدسة تواترت عن أناس، لم يثبت أحد من انهم لم يكونوا مصابين بأمراض عقلية ونفسية".

مجتمعنا اليوم – وهو مثلما كان في أزمانه الماضية – خاضع لسياسة يتسق وينتمي صانعوها إلى تلك الفرضيات، شكّلها أناس منذ قرون عديدة، فرضيات قائمة على التهويم وسحر التخيل ومحادثة الأشباح وجعل رؤيا في منام حكماً وواجبا، فرضيات لم يكن فيها أي حيز لسؤال العقل، بل أن أي سؤال للعقل يعد بدعة وكفراً وأن حامل هذا العقل المتسائل هو ابن الشيطان وربيبه، الإجازة الشرعية الوحيدة التي منحت للعقل أن يتبين ويسأل في إطار تلك الفرضيات، أي أنه يمكن له وضع أسئلة لأجل تبيان وصف تلك الفرضيات بحذر وبيان أهمية أجزائها ووسائل استعمالها بمهابة التقديس.

على وفق هذه الأسئلة الغفل انشق الموقنون بفرضياتهم التاريخية الفلكلورية المتخيلة، وعلى الرغم من أن تباين الآراء بينهم قد أدى إلى حروب طاحنة على مرّ التاريخ إلا أنهم يتصورون أن وصولهم إلى أرض تتباين فيها آراؤهم بشأن تلك الفرضيات دون تناحر وتقاتل هو إنجاز كبير وهو مثال يريدون أن يتشبهوا به مع أولئك المتباينين حول الأفكار العلمية العظيمة نتاج العقل المحض الذي صنع نظاما عاما يعرف الأفراد في إطاره الواجبات والحقوق.

العالم الذي يشتغل على مبدأ العلة والسبب والنتيجة ينظر اليوم إلى المجتمعات التي حتى الآن تمتاح من التاريخ. جانبه العشوائي المتخيل. بيقينية من يمتاح من قوانين علمية صارمة، على أنها مجتمعات خارجة على النظام العام الذي صنعه العقل المحض والذي بموجبه يمنح كل إنسان حريته حين يستعمل عقله الخاص وإرادته الخالصة.. وعلى وفق ذلك يرى العالم انه لا بد من إيقاف أو محاسبة أو تأهيل كل شخص أو مجتمع يخرق النظام العام.

لننظر إلى مجتمعنا منذ أول لحظة تكوينه في سياق الأمر والنهي الدوغمائي وإلى الآن وهو يخضع لفرضيات ذات الرداء الهائم بخيالات توجب على الناس تصديقها وعلى أنها الحق المقدس وترفض أية تجارب للعقل ومنطق العلم وقوانينه فهل سنرى سوى هلوسات في كل أنساقه الأخلاقية والثقافية والسياسية؟ عدوى تواترت من المؤمنين بأن عقل الإنسان عاجز عن إدراك أية حقيقة وليس من حقه أن يفكر بوجوده ويسأل عنه، بل عليه أن يؤمن بأولئك الذين وضعوا له طريقا واحدة هي طريق (الحق) وكل سادن من سدنة هذه الفكرة المخبولة يرسم الطريق الواحدة على هواه حتى صارت فتنة بين الناس، فتّت أواصرهم وأرحامهم وعقولهم، ويوما بعد آخر يتأكد العقل الإنساني الحر إنما كان أغلب صناع الخط العريض للتاريخ هم أناس ليسوا على قيد العقل بشيء وليس ثمة وصفة لمن يرى في التاريخ مثابة يهتدي بها، أجدى من هاتين العبارتين لنيتشة وهو يقول: لم يعد التاريخ إلا عبارة عن تظاهرة عصابية مرضية. ويقول أيضا: إن المذاق المهووس للأشياء العتيقة يحاصر الإنسان برائحة العفونة.

التطوّر والاستقرار يحدثان مع التنمية الاقتصادية المستدامة

حميد الكفائي

دول كثيرة تطورت وأصبحت تنتج الصناعات الثقيلة والأجهزة الدقيقة دون أن يكون لديها مصادر طبيعية تسندها. اليابان مثلا بلد يقوم على الصناعة والمصدر الأهم المتوفر لديه هو الموارد البشرية الخلاقة التي استثمرت فيها الدولة على مدى عقود من الزمن فأتت أكلها بعد حين وخلقت اقتصادا متينا من لا شيء غير وجود طبقة متعلمة وهوية وطنية متماسكة وتصميم على احتلال مكانة مرموقة بين دول العالم. الكثير من الدول تحسد، أو تغبط، اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة والبرازيل على الإنجاز الاقتصادي الكبير الذي حققته عبر تطوير مشاريع صناعية ضخمة وقادرة على التنافس في أوروبا وأمريكا.

نعم هناك حاجة لرأس المال لبناء اقتصاد ديناميكي متطور وقائم على العرض والطلب، لكن المال المستحصل عبر الاقتراض هو أفضل من المال المتوفر من المصادر الطبيعية والذي يعطى في كثير من الأحيان دون ضوابط أو معايير اقتصادية مدروسة. بعض الدول النفطية أنفقت مليارات الدولارات على مشاريع فاشلة كتنمية الزراعة في الصحراء أو خلق صناعات لا حاجة حقيقية لها أو غير قادرة على التنافس عالميا. كثيرون من رجال الأعمال يقترضون حتى مع توفر المال لديهم لأنهم يريدون التأكد من جدوى مشاريعهم عبر موافقة البنوك على تمويلها ويسعون نحو شراكة مع مؤسسات أخرى قادرة على رفدهم بالدراسات والإرشادات والتقويم المتواصل. فإن قدمت البنوك لها الدعم المالي فمعنى ذلك أنها ذات جدوى وأنها سوف تنجح وهذا يعطيها في الوقت نفسه صدقية عالمية ويزيد من ثقة الأسواق بها. لا مشكلة لدى أي مشروع ناجح في دفع الفوائد المترتبة على القروض التي يحتاج إليها، لأن المشاريع الناجحة قادرة على تمويل نفسها بنفسها وتعتبر دفع الفوائد أمرا عاديا لا ضرر فيه فهو جزء من كلفة الإنتاج وهي تحقق أرباحا أكبر بكثير من قيمة التكلفة.

بعض الدول حاولت أن تنمي الصناعات البديلة للواردات ظنا منها أنها سوف تتمكن من خلق اقتصاد متين عبر استبدال الواردات بمنتجات محلية الصنع. لكن النتيجة أن هذه المشاريع فشلت لأنها أساسا لم تأتِ عبر التطور التلقائي للصناعة وتراكم الخبرات بل لرغبة سياسية حفّزها، إن لم نقل صنعها، توفر المال المستحصل من إيرادات النفط. الصناعات البديلة للواردات فشلت لأنها اعتمدت على استيراد قطع الغيار من الخارج وتجميعها داخل البلد واستقدام الخبراء الأجانب كي يساعدوا على تجميعها وتسويقها وانخراط العمالة الوطنية غير الماهرة وغير الخبيرة في تجميعها وإعدادها. إنها في الحقيقة لا تعدو عن كونها أكثر من خداع للنفس عبر التصور أن البلد الفلاني صنع سيارة أو ماكنة أطلق عليها اسما وطنيا يرسخ تلك الخدعة في نفوس المواطنين.

الأضرار المترتبة على تلك الصناعات المحكومة بالفشل أساسا كثيرة، منها مثلا ارتفاع كلفة الإنتاج بسبب اعتماده على الواردات وعدم قدرة المنتج محليا على التنافس مع المنتجات العالمية. وقد قادت هذه الإجراءات بعض الحكومات إلى اتخاذ إجراءات حمائية زادت الطين بلة وخلقت من هذه المنتجات المحلية عبئا على الاقتصاد الوطني.

إضافة إلى ذلك فإن تسبب تلك الصناعات التجميعية في زيادة كفة الواردات قد أخل بالميزان التجاري للدولة المنتجة لها وتسبب في خفض سعر عملتها الوطنية ورفع أسعار الواردات الأخرى التي تعتمد عليها صناعتها وفي النتيجة حصول تضخم وخلل في الاقتصاد يحتاج إلى جهود وأموال أخرى لإصلاحه. وفي النتيجة فإن تلك الصناعات الوطنية المختلقة عبر تبذير المال والجهد تصبح عبئا على البلد وتضطر الحكومات لاحقا للتخلص منها بطريقة أو بأخرى كي تحد من خسائرها.

هناك حاجة لأن تجد الدولة مجالات حقيقية للاستثمار وطرقا مدروسة لإنفاق الأموال المتأتية من ريع المصادر الطبيعية كالنفط لأن إنفاقها على توسيع الأجهزة الحكومية دون أن تكون هناك حاجة لها لن يأتي بفائدة على الأمد البعيد بل إنه سيخلق مجتمعا استهلاكياً اتكالياً غير مستقر وهذا سجل الدول النفطية الفاشل أمامنا إذ لم تساهم الثروة النفطية في بناء اقتصاد متين قادر على الاستمرار بعد انتهاء النفط أو تناقص أهميته العالمية. لقد أدرك قادة بعض الدول الريعية أنهم بحاجة لأن يركزوا على مجالات أخرى لتنمية الاقتصاد.

هناك حاجة لأن تجد الدولة مجالات حقيقية للاستثمار وطرقاً مدروسة لإنفاق الأموال المتأتية من ريع المصادر الطبيعية كالنفط لأن إنفاقها على توسيع الأجهزة الحكومية من دون أن تكون هناك حاجة لها لن يأتي بفائدة على الأمد البعيد.

وما نراه اليوم من تطور عمراني في دبي مثلا هو استثمار في المستقبل الذي ستلعب به دبي دورا مهماً لأنها أصبحت مركزا تجاريا وخدميا لدول العالم المختلفة. الشركات العالمية بدأت تفتح مكاتب لها في دبي، ووسائل الإعلام العربية والأجنبية هي الأخرى اتخذت من دبي مقرا ومنطلقا لها، والمؤتمرات واللقاءات الدولية أصبحت تعقد في دبي بسبب موقعها الجغرافي الاستراتيجي بين الشرق والغرب ولأنها تمتلك البنى الأساسية المطلوبة من فنادق حديثة وطرق مواصلات متطورة ومطارات عملاقة وأسواق كبيرة ومنظمة وقاعات عصرية واتصالات متطورة وأمن منضبط وتعامل حضاري راق. حكام الأمارات ودبي تحديدا أدركوا إمكانات بلدهم واحتمالاته الاقتصادية الواقعية واستثمروا فيها وشجعهم العالم على ذلك لأن خططهم، رغم أنها طموحة، لكنها واقعية ومدروسة وتعود بالنفع على الجميع. بإمكان العراق أن يلتفت إلى إمكاناته واحتمالاته الاقتصادية الواقعية ويطورها ويتحرر من عقد الماضي والمستنقع الذي وضعته فيه الأنظمة السابقة والذي لا يزال يحكم تفكير الكثيرين من صنّاع القرار حالياً.

سقطة (الشاطر) وجماعته

لم يتطلب الأمر في مصر وقتا طويلا كي تصطدم جماعة الإخوان المسلمين بصخرة الجشع السياسي الذي ألمّ بقياداتها.. والتي وصلت إلى الذروة بإعلان ترشيح نائب مُرشد الجماعة والشخصية النافذة بها (خيرت الشاطر) لخوض معركة انتخابات الرئاسة ..هذه الإضافة الأخيرة ، الى سلسلة الطرق الملتوية التي سلكها حزب الحرية والعدالة- الجناح السياسي للجماعة- في خوض معطيات العمل السياسي بعد الثورة المصرية، ألهبت سماء مصر الملبّدة بغيوم الاحتقان السياسي والتخبط والفوضى نتيجة الفهم الخاطئ في التعامل مع المكاسب العظيمة التي حققها المصريون في ثورتهم.

لينا مظلوم★

كل قرارات جماعة الإخوان على مدى العام الماضي تقع داخل إطار (من أفعالهم سُلِّط عليهم)..إذ يبدو أن كل ما قابلوه بسُخرية و تهكم – أحيانا بلغ درجة التطاول – من آراء للتيار الليبرالي ، أرتدّ على الشعبية التي تصوروا أنهم امتلكوها في الشارع المصري.. سخِروا من دعوة المنطق التي طالبتهم بنبذ وسائل العمل السرّي الذي استحوذ على الجماعة منذ تأسيسها.. بينما أدوات ممارسة العمل السياسي العلني تتطلب إستراتيجية مختلفة تماما عن تلك التي تبنّتها الجماعة سابقا.

دخول جماعة الإخوان المسلمين العمل السياسي بعد الثورة عبر إنشاء حزب الحرية والعدالة لم يخلُ من المراوغة أيضاً.. حين حذرتهم الأصوات العاقلة من خطورة ممارسة العمل السياسي باسم الدين وضرورة الفصل بين الدين والسياسة وفقا لمنطق أن كل منهما يُفسد الآخر.. جاء رد الجماعة بأول مسلسل الأكاذيب التي مارسوها على الرأي العام .. أعلنوا التزامهم بعدم الترشح للمنافسة في انتخابات البرلمان المصري على أكثر من نسبة ثُلث المقاعد .. هذه الوعود ابتُلعت حتى تجاوز عدد المقاعد الثُلثين.. طبعًا تحقق ذلك عبر دعاية دينية مُكثفة مارست أشرس الضغوط على شارع مصري ينقصه الكثير من الوعي السياسي..في انتخابات غابت عنها أبسط مقومات الديمقراطية. الجشع السياسي دفع الجماعة نحو استكمال طريق الأكاذيب عند تشكيل اللجنة التأسيسية لوضع الدستور المصري الجديد..انتهزت الجماعة الأغلبية العددية التي اقتنصتها في البرلمان ومجلس الشورى تحت ظروف شديدة التعقيد والتخبط.. قامت الجماعة بتأليف وإخراج (مسرحية) هزلية، نتجت عنها لجنة غالبية أفرادها من التيار الإسلامي والسلفي.. لتكتمل الدراما الساخرة بانسحاب كل من رفضوا أن يكونوا مجرد (ديكور) داخل هذه اللجنة.. وأدخلت الجماعة قضية صياغة الدستور المصري إلى نفق مُظلم ..لم تبدُ حتى الآن بارقة ضوء في نهايته. حالة الاحتقان ضد الجماعة بدأت تتصاعد في الشارع المصري بعد اقل من عام على التفافه حولها ومنحها أصواته.. الأداء السياسي الفاشل لنواب الجماعة والتيار السلفي افقد الشارع ثقته بهم.. ويبدو أن الجماعة لم تضع في حساباتها العامل النفسي المواكب للفعل الثوري المصري ..ما أحدث تغييرات على الشخصية المصرية المعروفة مُسبقا بالرضوخ للأمر الواقع والاستكانة .. كما خلقت الثورة عند الشارع المصري حساسية شديدة تجاه فكرة تسلُط حزب أو قوة سياسية واحدة على مقاليد القرار السياسي. (سُكرة) النجاح زينت للجماعة أن تدوس على كل أصوات العقل والمنطق، بإعلانها ترشيح (خيرت الشاطر) لمنصب الرئاسة .. بعد أن سبق لها فصل أحد أبرز قياديي الجماعة (عبد المنعم أبو الفتوح) لأنه تجرأ معلنا نيته الترشُح لمنصب الرئاسة على غير إرادة الجماعة بعدم ترشح أحد أعضائها لهذا المنصب حينذاك. هذا التراجع الذي اعتُبر آخر قائمة أكاذيب الجماعة جاء مخالفا لكل حساباتها.. خاب توقُع قادتها أن قوتهم الحالية تسمح بتمرير هذه الكذبة أيضاً دون إثارة للرأي العام .. والأدهى أن مبرراتهم التي ساقوها لهذا التغيير الجذري في مواقفهم المعلنة مسبقا ..هي ذاتها التي طالبتهم بها التيارات الليبرالية .. إذ يُرجع الإخوان تضارب قراراتهم إلى أن (لعبة) السياسة قد تتطلب التحولات.. يبقى الفهم الوحيد لمبرراتهم أن الجماعة تُقدِّس السياسة المجرّدة بعيدا عن النوازع الدينية فقط حين تصبح في خدمة جشعها السياسي.. وتؤكد أن (التأثير الديني) هو مجرد عامل إنقاذ تستدعيه جماعة الإخوان المسلمين عند الحاجة.

★ كاتبة عراقية مقيمة في القاهرة

مسلسل مدبلج

ليث العبيدي

تعود مشاهدو التلفزيون على مشاهدة المسلسلات المدبلجة تمتد لمئات الحلقات ويستمر عرضها عدة سنوات وكل حلقة تشبه التي سبقتها والمشاهد المتابع قد مل الإطالة وعينه صوب الحلقة الأخيرة ولكن هناك أخرى . والذي يجهله الأكثرية أن المسلسل لم يكتب مسبقا بل يقوم المؤلف بإعداد النص قبل تصوير الحلقة بساعات وربما بأيام على أحسن تقدير وهو الآخر لا يعرف عدد الحلقات ومتى ستنتهي .. وهذا الواقع ينطبق على الثورة السورية حيث انهالت عليها المبادرات الدولية والعربية والإقليمية الواحدة منها تشبه الأخرى وكلها تدور في نفس المربع لا تختلف عن بعضها سوى في أسمائها .. رغم أن المسلسل السوري تجاوز عامه الأول بالكاد إلا أنه تفوق على المسلسلات البرازيلية والمكسيكية وحتى التركية منها والمثيرة للملل كونه احتل صدارة المعروض في جميع القنوات الفضائية منها والمحلية على امتداد الكوكب .. ولم يعد خافيا على المتابعين للشأن السياسي أن جميع المبادرات لا تختلف عن بعضها البعض والقاسم المشترك بينها عنصر المماطلة والتسويف الذي بدوره يمنح النظام الحاكم مزيدا من الفرص المتتالية لإجهاض الثورة والقضاء على الثائرين وآخر المبادرات ما جاء به كوفي أنان موفداً من أكثر من طرف.

المؤتمرات الدولية تنعقد بالجملة وتنتج وفوداً تجول العواصم ذات العلاقة بالشأن السوري الذي بات يتصدر نشرات الأخبار في جميع الفضائيات التي بدورها تستثمر الكم الهائل مما يرد من أخبار لا تترك شاردة ولا واردة من مشاهد الكر والفر واللون الأحمر الطاغي على مسرح الاحداث .. الكاميرات تصول وتجول وتنقل ما يؤديه المنتفضون من أدوار أمامها من دون أن يعلموا ما تخبئ الأيام وليس لهم سوى تلقي القذائف والصواريخ التي ترسل العشرات وربما المئات منهم كل يوم إلى العالم الأبدي ناهيك عن الآلاف من المصابين الذين أفلتوا من الموت لينضمّوا إلى طابور المعاقين غير عارفين أن هناك من يقف على الجانب الآخر من العالم يراقب الأحداث ليكتب الحلقة اللاحقة وربما الأخيرة من هذا المشهد الدموي الذي طالت فصوله.